حول الاغتيال السّياسي في المغرب العربي (1950-1970)

عميرة عليّة الصغيّر
المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية

يثير مبحث الاغتيال عدّة إشكالات منهجيّة وتاريخيّة ولعلّ أهمّها تعريف المصطلح في حدّ ذاته خاصة وأنّه كان ولا زال محلّ اختلاف وتنازع خاصة بين الضحايا وجلاّديهم لما للمسألة من تبعات قضائية وأخلاقية ولما تصبغه صفة "السياسي" من إيجابية على الضحيّة من جهة ولما تثيره من استنكار واستهجان تجاه القتلة من جهة ثانية. وإجمالا يمكن أن نعرّف "الاغتيال السياسي" بأنّه الحسم العنيف بالقتل خارج شرعيّة حكم قضائي لطرف قائم في تناقض سياسي وهو يمكن أن يكون قتلا فرديّا أو قتلا جمعيّا. لكن هل الاغتيال السياسي ذاك القتل فقط الذي يستهدف شخصيّات سياسيّة؟ أو هو كل اغتيال هدفه سياسي؟ في الحالة الثانيّة -والتي نتبنّاها- يكون موضوع الاغتيال أوسع والمنظور أعمّ حيث يستوجب النّظر كذلك في حملات اغتيال الأفراد غير المشهورين من وجوه الحياة العامّة أو الحركة الاجتماعيّة (النقابات، منظّمات المجتمع المدني ...) أو مواطنين عاديّين ويشمل التّعريف في هذه الصّورة الاغتيالات الفردية والاغتيالات الجماعيّة إن كانت من المنظّمات والقوى المتصارعة أو من الأجهزة الرّسميّة والشّبه الرّسميّة للدّولة خاصة من أجهزة الأمن والاستخبارات.

وفي الواقع أنّ الاغتيال السّياسي ليس جديدا في تاريخنا السّياسي القومي أو المحلّي القريب أو البعيد إذ التاريخ العربي الإسلامي ملآن بالأمثلة على الاغتيالات بداية من اغتيال الخلافاء الراشدين (ثلاثة على أربعة ماتوا مقتولين) إلى التاريخ المعاصر حتى وإن تسمّى ذاك القتل بتسميات أخرى ككفّ يد العصاة وأهل الفتنة والمارقين وكان يصاحب خاصة طفرات تمرّدات العروش والقبائل ضدّ السّلطة المركزية أو يجدّ في ثورات القصور عندما تتصارع السّلالات والعائلات الحاكمة ويتقاتل الأمراء أو يدسّون لبعضهم بعضا السّم... ولعلّ اختلاف تعمّق تراث القتل من مجال جغرافي -سياسي إلى آخر وتأصّل روح التمرّد وعدم الخضوع عند بعض المجتمعات أو الشرائح يفسّر تفاوت حضور هذا النّوع من حسم التناقضات أي الاغتيال السّياسي من بلد إلى آخر في المغرب العربي موضوع هذه الورقة. وقد قصرنا النّظر هنا على عشرين

سنة فحسب أي بين 1950 و 1970 أي منذ بداية الخمسينات عندما ارتقى الصّراع مع الاستعمار إلى مرحلة حاسمة كان العنف السّياسي أحد مميّزاتها وتوقّفنا عند سنة 1970 عندما استوفت تقريبا الأنظمة السّياسيّة الجديدة تمركزها بإزاحة أواخر الرّموز التاريخيّة المعارضة لها وتصفيتها.

وليس القصد من هذه الورقة استيفاء كل أوجه الاغتيال السّياسي في المغرب العربي لهذه الفترة من حيث الوقائع وحدثيّتها ومن حيث القوى والمنظّمات والأشخاص والمسؤوليات لأن ذلك يتطلب جهدا أكبر ومجالا أوسع بل أنّ غايتنا هي فقط تقديم نصّ تأليفي حول هذه الظّاهرة والوقوف عند الحالات الهامّة فحسب وذاك في ثلاثة محاور:

I- الاغتيال السّياسي لدحر الاستعمار.

II- الاغتيال السياسي لتأبيد الاستعمار.

III- الاغتيال السياسي لفرض الهيمنة وضمان الحكم.

I- الاغتيال السياسي لدحر الاستعمار.

عرفت بلدان المغرب الثلاث، تونس والمغرب الأقصى والجزائر في السّنوات الحاسمة هذه من الخمسينات من القرن الماضي أمام تصلّب الاستعمار وفشل الطّرق السّلمية في إخضاع فرنسا لمطالب الوطنيّين اندلاعا للمقاومة المسلّحة (منذ 1952 بتونس و 1953 بالمغرب الأقصى و1954 بالجزائر) وان اختلفت هذه المقاومة من حيث شموليتها ومن حيث التّنظيم والقوّة والنّتائج من بلد إلى آخر فإنّ "العنف الثّوري" أو "الإرهاب الثّوري" استعمله المقاومون على نطاق واسع لإخضاع الخصم ونحصر هنا الحديث عن العنف المقاوم في صيغة الاغتيال السّياسي فحسب مزيحين عمليات القتل التي جدّت في مواجهات ذات صبغة حربيّة بين قوّتين متقاتلتين في اشتباكات مسلّحة. وقد حدثت جلّ عمليات الاغتيال السّياسي هذه في المجال الحضري (المدن) أساسا بينما كان مجال العمليّات العسكريّة أو "الجهاديّة" خاصة الأرياف والجبال.

وقبل أن نورد نماذج من الاغتيالات هذه في صف المستعمر لتحرير البلاد يتوجّب التطرّق للأطر التي أخذت على عاتقها هذا الشكل من المقاومة والتعريف بالرجال الذين قاموا بها. مع الملاحظ أنّ عمليات الاغتيال هذه ليست بالضّرورة كانت من فعل مجموعات منظّمة بل يقوم بها أحيانا مقاومون فرادى مدفوعون بروح المقاومة أو الثّأر وبتدبير خاص. على كلّ تكوّنت في البلدان الثلاث وخاصة في تونس والمغرب الأقصى-هنا لأنّ الجزائر كانت المقاومة فيها منظّمة في شكل أرقى هيكلة وتنسيقا في صلب جبهة التّحرير الوطني وجيش التحرير الوطني- تنظيمات صغيرة قتاليّة يتراوح عدد حركيّيها من بعض الأفراد إلى العشرات.

تكوّنت في تونس مثلا مجموعات تطلق على نفسها "لجنة المقاومة" أو "اليد السّوداء" أو "اليد السّوداء الجديدة"[1] ينشط ضمنها مناضلون منتمون للكشافة والحزب الدستوري الجديد بالخصوص[2].

كذا الشأن بالمغرب الأقصى الذي عرف خاصة بعد عزل السّلطان محمد بن يوسف في 20 أوت 1953 هبّة "جهاديّة" تكوّنت في خضمّها عديد المنظّمات المقاومة في جلّ المدن المغربيّة تقريبا نذكر البعض منهــا التي نشطت خاصّة بالــدّار البيضاء: "المنظّمة السّريّة"[3] و"أسد التّحرير"[4] و"الهلال الأسود"[5] و"جيش الأطلس"[6] و"اليد السّوداء" و"صوت النّار" و"يد التطهير الفدائيّة" و"البوليس السّري"...[7]. أمّا في الجزائر كما أشرنا لذلك آنفا فإن العمل المقاوم الذي استهدف أوروبيّين بالاغتيال كان أساسا تحت راية جبهة التّحرير الوطني (F.L.N) وبصورة أقل التنظيم المنافس الذي يتزعّمه مصالي الحاج أي "الحركة الوطنيّة الجزائريّة" (MNA). هذه المنظّمات القتاليّة إن كانت لم تتعدّ في تونس مرحلة البدائية من حيث التنظيم والانضباط والسّريّة والتخطيط والدّاوم فإنّه في المغرب الأقصى قد برهنت عديد المجموعات على قدرة فائقة في

1- كنّا تناولنا هذا الشكل من المقاومة في عدّة أعمال نذكر منها:

- "ضحايا الجانب الفرنسي نتيجة أعمال المقاومة في تونس من جانفي 1952 إلى 1953 " بـ **الكرّاسات التونسية**، عدد 168، 1995.

- "أروبيو تونس والمقاومة المسلّحة في الخمسينات" بكتابنا: **المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات**، صفاقس، مطبعة التسفير الفني، 2004.

- فصل "المعركة التّحريريّة وإحراز الاستقلال (1952-1956)" ضمن كتاب: **الحركة الوطنية التونسيّة** (تحت الطبع)، من منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة.

2- نذكر من ضمنهم: البشير زرق العيون، عمر بن حميدة، صالح بودربالة، الطّاهر عميرة، المختار عطيّة، الشاذلي قلاّلة، الهادي بن جاب الله، الهادي الورتاني، الناصر ساسي ضو، المختار سعد الحامّي، محمد اليعقوبي...

3- تأسّست في 7 أفريل 1951 بدرب السّلطان. من قياديها عبد الله الصّنهاجي ومحمد الزرقطوني، محمد بن الحاج قاسم المذكوري المدعو بالفقيه ومحمد الفقيه البصري ومحمد بن أحمد آجر المدعو سعيد بونعيلات...

4- المسؤولون الرئيسيون فيها: بليليطة الميلودي وأمشكي البشير والنبار سعيد وأحمد لصمك المذكوري...

5- تأسّست سنة 1952 ويعمل أفرادها داخل حزب الاستقلال أمثال: منصف بالحاج وبكري علي ومولاي عبد المالك وأحمد الركيبي.

6- من أبطالها امبارك بوشتة ومولاي محمد البوعمراني.

7- أنظر في هذه التشكيلات مقال: محمد زرّوق: "جوانب من الحركة الوطنيّة بالدّار البيضاء خلال الخمسينات" بـ: أعمال: **ندوة المقاومة المغربيّة ضدّ الاستعمار (1904-1955)**، نشر المندوبيّة السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرّباط، 1991، ص. 329-335. كذلك مداخلة المقاوم محمد الجديدي برهماني بعنوان: "المقاومة المغربيّة في مرحلتها الأخيرة في مطلع النّصف الأخير من القرن العشرين" ضمن أعمال النّدوة الدّولية التي نظمّها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغيّة حول: **المقاومة المغربيّة عبر التاريخ أو مغرب المقاومات**، بالرّباط أيّام 3 و 4 و 5 ديسمبر 2003. (تحت الطّبع).

التخفّي والسّريّة والتّدريب على السلاّح وضمان أمن أفراد المجموعة باستعمال أسماء مستعارة وعدم الكشف عن أعضاء المجموعة التي يجهل أفرادها رفاقهم تحذّرا من التتبّعات الأمنيّة والإعداد المحكم لعمليات الاغتيال.

أمّا من حيث الانتماء الاجتماعي والمهني للعناصر العاملة في هذه "المجموعات الإرهابية"[8] فإنّها تشترك كلّها تقريبا في منبتها الشّعبي وأحيانا في المستويات الدّنيا من سكان الأحياء القصديريّة وحتّى من متعوّدي العنف الاجتماعي[9] حيث أهّلهم ذلك نفسانيّا وبدنيّا لاقتراف القتل والإقدام عليه فهم من العاطلين والمهمّشين والعمّال والباعة المتجوّلين وأصحاب الحرف الصّغرى الذين كانوا يبحثون على الشّهادة خدمة للوطن وثأرا لحياة القهر والإذلال شأن هؤلاء من مناضلي تونس: محمد اليعقوبي (قاتل المدير العام للإدارة المركزية للجيش الفرنسي دولابيون (de La Paillone) (في 1954/7/24) أو مغتالي رئيس مركز الجندرمة سيسرو Cicero بغار الملح (22 جانفي 1952) وهم البشير بن الهادي بونقرة وأحمد الورتاني وحمادي العطـوي أو الهادي بن جـاب الله مغتال ولي العهد عـز الدّين بـاي في 1 جويلية 1953 والناصر ساسي ضو قاتل نائب رئيس بلديّة تونس والمتعاون مع الاستعمار الشاذلي القسطلي (22 جانفي 1953). كذلك كانت هذه العناصر النّشطة في التصادم مع الاستعمار في أغلبها عناصر شابّة ومن الرّجال أساسا. لكن العمل المقاوم في الجزائر وبالخصوص أثناء "حرب الجزائر" (La guerre d'Alger) بين ماي 1956 وجويلية 1957 حيث كانت هذه المدينة مسرحا للإرهاب وللإرهاب المضاد برزت فيه مناضلات من أمثال زهرة الضّريف وجميلة بوباشة وجميلة بوعزّة وجميلة بوحيرد ومريم بوعتّورة وزاهية حميدو وسعاد شلّق وحسيبة بوعلي وغيرهن كثيرات[10].

وقد استهدف الاغتيال السّياسي رموز السّلطة الاستعماريّة وأجهزة القمع فيها خاصة من بوليس وجندرمة ومخبرين لأنّها تجسّد القهر الاستعماري وكذلك العناصر المغالية من الاستعماريين خاصة رؤساء التنظيمات اليمينيّة أو مديري الصّحف الاستعماريّة المتحكمة في الرّأي العام. لكن الاغتيال السّياسي لم يقف عند هذه الأصناف في الواجهة الاستعماريّة بل تعدّاه خاصة في المغرب والجزائر إلى فئات أخرى غير محدّدة مسبّقا سوى أنّها أروبيّة لكن

8- نستعمل صفة إرهابيّة هنا دون تقييم معياري بالسّلبيّة أو الايجابية بل في مدلولها التاريخي إذ كان ولازال العمل المقاتل هدفه القضاء على العدو أو الخصم أو ترهيبه. والإرهاب كالحروب فيه العادل وفيه الظّالم حسب القضايا التي يندرج ضمنها أنظر في هذا السّياق: أدونيس العكرة، **الإرهاب السياسي**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، د.ت.

9- حالة علي لابوانت أحد أبطال "معركة الجزائر" الذي كان قبل التحاقه بالثورة من وسط الانحراف (Proxénète).

10- Yayiaoui (Messaouda), *"Perspectives, femme algérienne. 1830-1962"*, in **El-Massadir** revue du Centre National d'Etudes et de Recherche sur le Mouvement National et la Révolution du 1er Novembre 1954, mars 2002, pp. 19-41.

استهدافها كانت غايته سياسيّة إمّا لبث الرّعب في صفّ هذه الجاليات أو لإكراهها على مغادرة البلاد أو أن تؤثّر في أصحاب القرار لكي يستجيبوا للمطالب الوطنيّة. ونذكر كأمثلة على هذا النّوع من الاغتيال السّياسي غير المحدّد الهدف عمليّة التفجير التي جدّت بالسّوق المركزيّة بالدّار البيضاء في 24 ديسمبر 1953 والتي ذهب ضحيّتها ستّون شخصا منهم 18 قتلوا جلّهم من الأوروبيّين أو عمليّات القتل التي استهدف لها الأوروبيون يومي 19 و 20 أوت 1955 بالخنيفرة ووادي زم والتي ذهب ضحيّتها 150 أروبيّا منهم نساء وأطفال[11] أمّا في الجزائر فكانت العمليات بالمتفجّرات التي استهدفت الأوروبيّين بالسّاحات والمحلاّت العامّة عديدة لكن مثّلت انتفاضة شمال قسنطينة التي كان يقودها يوسف زيغود عن جبهة التّحرير الوطني حدثا فاصلا في تاريخ المقاومة الجزائرية وفي مسار جدليّة العنف المتبادل حيث هاجمت عناصر من جيش التحرير يسندها الأهالي مراكز المعمّرين فليبفيل (سكيكدة) وعين عبيد حيث تمّ تقتيل 123 شخصا منهم 71 أروبيّا من بينهم النّساء والأطفال وكان ردّ السّلط الاستعماريّة عنيفا حيث قتلت من الجزائريّين 12 ألفا حسب المصادر الجزائريّة[12].

إنّ الاغتيال السّياسي في مقاومة الاستعمار لم يطل فقط الجاليات الأروبيّة ورجال جهاز الإدارة والأمن الفرنسيّين بل شمل كذلك المتعاونين من الأهالي مع الاستعمار خاصّة من السّياسيّين والبوليس والمخبرين وذلك لخلق فراغ حوله وقلب معادلة الاصطفاف إمّا في جانب الاستعمار وإمّا في الصّفّ الوطني وذلك بترهيب المتعاونين واقناعهم بحجّة العنف بضرورة الانخراط في مسار المقاومة أو على الأقلّ تحييدهم. وقد تناولنا هذا الصنف في ما يخصّ تونس في مقالات سابقة[13]ودون التّفصيل في هذا الوجه من العمل المقاوم نذكّر فقط أنّ القتل استهدف عشرات الأفراد من أعوان البوليس والمخبرين والقوميّة وقدماء المحاربين والمتفرنسين وخاصة

11- مع الملاحظ أنّ القوّات الاستعماريّة سوف تقتل من المغاربة مقابل الـــ 150 أروبي أكثر من 500. حول هذه الأحداث راجع: -محمد بن جلّون: "إسهام إقليم خريبكة ودوره في حقل الكفاح منذ مطلع القرن" ضمن أعمال ندوة **المقاومة بإقليم خريبكة 1912-1956**، الرباط، 1993. وبنفس المصدر: محمد معروف الدفالي: "المقاومة والمقاوم على ضوء أحداث غشت 1955" ص 101-110.

- Charles-André Julien, **Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956**, Paris, Editions J.A, 1978, pp. 434-435.

12- المصادر الرّسميّة الفرنسيّة تقدّم رقم 1273 قتيلا من المسلمين فقط. حول هذه الأحداث أنظر:

- Hartmut Elsenhans, **La Guerre d'Algérie 1957-1962**, Paris, Publisud, 2000, p. 434.
- Patrick Éveno et Jean Planchais, **La Guerre d'Algérie, Dossier et témoignages**, Paris, La Découverte et Le Monde, 1990, p. 90 et 400.

13- إضافة للمقالات المذكورة أنفا في الإحالة (1) تعرّضنا لهذه الأحداث في قسم كرونولجيا "**أشكال النضال والمقاومة الوطنيّة 1881- 1957**" المتعلّق بالخمسينات ضمن قرص CD.Rom من إنتاج معهد الحركة الوطنيّة وإشراف وزارة التعليم العالي. 2003.

من أعوان الإدارة المحليّة من مشائخ وخلفاوات أو أعضاء في المجالس المنتخبة[14]وطالت الاغتيالات كذلك أفراد من الإدارة العليا شأن عمر بوحديبة كاهية قصور السّاف (1953/3/14) ومحمود التارزي كاهية منزل تميم (1953/5/30) وتعرّض محمد صالح المزالي الوزير الأكبر لمحاولة اغتيال (54/5/29) ولم ينج أخ وزير الصّحة الدكتور الغشام من الاغتيال في 2 أفريل 1953. وقد ولّدت موجة الاغتيالات هذه هلعا وشعورا بانعدام الأمن لدى أوساط البرجوازية المحليّة وأعوان الإدارة والأمن المتعاملين مع الاستعمار وأحجم الكثير منهم عن القيام بمهامّه المعتادة إن لم ينقلب في خدمة الوطنيّين[15].

أمّا في المغرب الأقصى فقد طالت الاغتيالات كذلك نفس الأصناف المتعاملة مع الاستعمار[16] لكن على نطاق أوسع كما تميّزت عمليّات الاغتيال هنا بالجرأة لأنّ الكثير منها تمّ بالسّكين وفي وضح النهار واستهدفت أحيانا أعلى هرم السّلطة من ذلك محاولة اغتيال السّلطان ابن عرفة في حدّ ذاته يوم 14 مارس 1954 والمقيم العام قيوم (Augustin Guillaume) في 24 ماي 1954 في مراكش قلعة القلاوي ومحاولة اغتيال الباشا القلاوي مرّتين الأولى بالسّكين في 11 سبتمبر 1953 والثانية بقنبلة في 20 فيفري 1954 واغتيال مندوب الحكومة الفرنسية مونيي في 15 ماي 1954 وإطلاق الرّصاص على القائد العسكري لمنطقة مراكش الجنرال Hauteville في 20 جوان 1954 وكانت جلّ هذه العمليّات قامت بها مجموعة حمّان الفطواكي[17] وكان لمقتل الاستعماري ومدير جريدة "لافجي ماروكان" (La Vigie Marocaine) إميل إيرو (Emile

---

14- شأن نائب رئيس بلديّة تونس والمترشّح من جديد للانتخابات الشاذلي القسطلي (1953/5/2) والمنتخبين في مجالس العمالات محمود السّلامي بن محمود (الحامة 1953/6/21) وعلي بن الحاج بن محمّد بن رجب (الحامة 1953/6/11) وأحمد بلقروي (صفاقس 1953/8/8).

15- راجع مثلا: تقرير رئيس مصلحة مراقبة التراب أبلينق لشهر أوت .

Rapport du Commissaire Divisionnaire Ebling in Q.O., Série correspondances politiques et commerciales, C. 3533, f. 316.

كذلك عريضة "فدراليّة النّقابات المستقلّة للبوليس التونسي " التي عبّرت عن نفس التخوفات لدى المقيم العام.

QO, Série : Tunisie 1944-1955 : Deuxième partie, C. 356. f. 30.

16- أنظر في هذا الشأن

- Daniel Rivet, **Le Maroc de Lyautey à Mohamed V. Le double visage du Protectorat**, Paris, Denoël, 1999, pp. 406-457 : et Charles- André- Julien, **Le Maroc... op.cit**, pp. 389-419.

ومقال عبد الفتّاح الزّين، "خصائص وسمات العمل الفدائي بالمغرب: مقاربة لحالتي الرّباط ووجدة" بأعمال ندوة: **المقاومة في المغرب الشرقي**، 1994، ص 221-259.

17- تأسّست منظّمة حمّان الفطواكي في مارس 1954 وكانت أهم مجموعة سرّية مقاومة بمراكش وبالمغرب على الإطلاق. وقد ألقي القبض على أفراد هذه المنظّمة في أوت 1954 وحكم على الفطواكي بالإعدام ونفّذ فيه في أفريل 1955 أنظر: أحمد أزكور: "أضواء على تاريخ الكفاح الوطني من أجل الاستقلال بمراكش" بأعمال ندوة: **المقاومة المغربيّة ضدّ الاستعمار (1904-1955)**، المندوبيّة السامية لقدماء المقاومين، الرّباط 1991، ص 375- 403.

Eyraud) في 30 جوان 1954 بطعنة سكين في الظّهر الأثر الكبير على الجالية الأروبية. على كلّ كانت حصيلة الإرهاب المقاوم في المغرب الأقصى ما بين أوت 1953 وسبتمبر 1955 قتل 154 أروبيّا وجرح 548[18].

أمّا في الجزائر حيث تميّزت عمليات المقاومة بالطابع العسكري المنظّم وتزاوجت فيها عمليات الإرهاب الفردي مع أنشطة وحدات كتائب جيش التّحرير واستعمل العنف على نطاق واسع يصعب تقديم إحصائيات تفصيليّة لحالات الاغتيال السّياسي في الصّف الأروبي[19] ودون أن نجانب الحقيقة يمكن أن نكتب أن الاغتيال استهدف مئات الحالات من الفرنسيّين أو من الجزائريّين المتعاملين مع السّلط الاستعماريّة خاصّة من الإداريّين وأعوان الأمن والمتفرنسين والمخبرين و "الخونة"[20].

هذا العنف التّحرّري من جانب الوطنيّين المغاربة جابهه الفرنسيون سلطا ومواطنين بعنف مضاد كان ضحاياه كثيرين.

II- الاغتيال السّياسي لتأبيد الاستعمار:

في إطار الحرب الشّاملة على الوطنيّين في المغرب لتعطيل حركة التّاريخ مورس الإرهاب الرّجعي ضدّ من يمثلون خطرا على إستمراريّة الوجود الاستعماري من الإيقاف والسّجن والتّعذيب والنّفي وحتّى الاغتيال وتقاسمت الدّولة الاستعماريّة الأدوار مع المغالين من الاستعماريّين في تحييد أو القضاء على العناصر الوطنيّة التي تجسّد تهديدا لها.

ولنبدأ بالاغتيال الرّسمي أي ذاك القتل الذي قامت به أجهزة الدّولة الأمنيّة أو العسكريّة "ببرودة" أي خارج "نار الفعل المقاوم" أي أثناء المظاهرات أو مشادات الشوارع أو الاشتباكات العسكريّة مع وحدات المقاومين. وفي الحقيقة يصعب هنا أيضا إعطاء صورة دقيقة وشاملة على هذا النّوع من الإجرام التاريخي الرّسمي لصعوبة الوصول إلى المصادر من ناحية وغياب الدّراسات التّأليفيّة والجدّية في الموضوع من ناحية ثانية. لذا تقتصر هنا على تقديم أمثلة من تاريخ هذا الإجرام حتّى وان تفاوتت ظاهرة الاغتيال الرّسمي هذه بين تونس والمغرب من ناحية والجزائر من ناحية أخرى.

18- إحصاء أورده دنيال ريفي، م.م. ص 457.

19- تتضارب الأرقام حول ضحايا الحرب في الجزائر وحتّى المؤرّخين الجزائريّين خفّضوا المليون ضحيّة الذي رفعته جبهة التّحرير إلى رقم يتراوح بين 300 و 500 ألف قتيل من الجزائريين أمّا في الجانب الفرنسي فإنّ حصيلة الحرب كانت رسميّا: 2.788 من المدنيّين الفرنسيّين. أنظر في هذا الموضوع : بتريك أفنو وجون بلانشي، م.م. ص، 320-321.

20- أنظر بعض التّقديرات لعدد الضّحايا "لمعركة الجزائر" بـــ: هرتموت ألسنهانس، م.م. ص. 440-442.

من تاريخ هذا الإجرام في تونس ما جدّ بالوطن القبلي في عمليات التّمشيط التي قامت بها وحدات المضلّيين واللّفيف الأجنبي والجندرمة والقنّاصة السّينيغاليّين في ما سمّي بعمليّة مارس (Opération Mars) تحت قيادة الكولونال شموكل (Schmuckel) وذاك بين 28 جانفي و2 فيفري 1952 والتي قتل فيها 26 تونسيّا منهم أطفال ونسوة دون عمل مقاوم أو مجابهة من طرفهم[21]. وكان الهدف السّياسي من هذا الاغتيال الجماعي بث الرّعب في الأهالي والحطّ من عزيمة المقاومين بالجهة وببقيّة البلاد وتمرير رسالة مفادها أنّ من تسوّل له نفسه بمقاومة فرنسا لا يعاقب هو فحسب بل يقتصّ كذلك من الأهالي الحاضنين له. وفي 3 ديسمبر 1952 تعرّض أهالي قصر قفصة لعمليّة مماثلة حيث أعدم ستّة من الرّجال ببرودة لأنّه نصب بالقرية كمين لدوريّة أمنيّة فرنسيّة قتل فيها حارسان جمهوريان وجرح إثنان. كما جدّ هذا القتل الانتقامي يوم 14 ديسمبر 1952 بجبل الرّهّاش جنوب بنقردان في حقّ أربعة أسرى من أفراد "كمندوس فرحات حشّاد"[22] وكذا الأمر عندما أخرجت قوات الأمن أربعة مناضلين دستوريّين من ديارهم[23] لا علاقة لهم بالحادث وأعدمتهم ثأرا لمقتل حرس جمهوري في عملية قامت بها عصابة بلقاسم قرف بالمنستير ليلة 31 أوت 1953.

كما وقعت بالمغرب الأقصى في الخمسينات عمليات اغتيال مشابهة كثيرة حدثت خاصّة كردود فعل انتقاميّة من السّكان على إثر الانتفاضات الشعبيّة الكثيرة التي عرفتها بالخصوص المدن المغربيّة أو بعد العمليّات التي تدبّرها الفرق المقاومة ويشارك في هذا الاغتيال الجماعي قوات الأمن والجيش وحتى السّكان الأوروبيين من ذلك ما جدّ إثر انتفاضة الدّار البيضاء يومي 7 و 8 ديسمبر 1952 تنديدا باغتيال فرحات حشاد حيث قتل من العمّال والأهالي المتجمهرين المئات[24] ودفنوا في حفر جماعية مقابل قتل 4 أروبيّين. كذلك في انتفاضة سكان فاس في 1 أوت 1954 حيث حصد القنّاصة السينيغاليّون 129 مغربيّا أو في مكناس في 25 جويلية 1955 عندما

21- حول هذه الأحداث أنظر مقالنا: "ستّون يوما من النّضال الشعبي بتونس من 14 جانفي إلى 15 مارس 1952" المنشور بمؤلّفنا: **المقاومة الشعبية...** م.م.

22- حول "كمندوس فرحات حشاد" راجع فصلنا بنفس العنوان المنشور بكتابنا: **المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات. انتفاضة المدن، الفلاقة، اليوسفية**، صفاقس، مطبعة التسفير الفنّي، 2004.

23- الأربعة هم: عبد السّلام تريمش وأحمد الغندري ومصطفى بن جنّات والحاج سعيد المرشاوي. أنظر حول حادثة المنستير هذه في أرشيف المصلحة التاريخية لجيش البر (الفرنسي): S.H.A.T., 2 H Tunisie, C. 2H 154, D3

24- تقدّر المصادر الوطنيّة المغربيّة عدد القتلى في أحداث الكاريار سنترال هذه ما بين 300 و 1200 قتيل بينما التقدير الرّسمي الفرنسي آنذاك هو 50 قتيلا مغربيّا. أنظر في هذا الموضوع: زكي مبارك: "إغتيال فرحات حشاد. ردود الفعل والتبعات في المغرب" في أعمال المؤتمر حول: **فرحات حشاد والحركة العمّالية والنّضال الوطني**، نشر مؤسسة التميمي، زغوان، 2002، ص 109-117.

قتل 17 متظاهرا مغربيّا. ولعلّ عمليات الانتقام والاغتيال الجماعي التي اقترفتها القوات الفرنسية و من معها من الأوروبيّين أثناء أحداث وادي زم وآيت عمّار وخريبقة في ما بين 20 و 21 أوت 1955 كانت الأخطر حيث قتل من المغاربة ما يزيد عن خمس مائة مقابل الخمسين أروبي الذين قضوا في الأحداث[25].

لكن ما جدّ في الجزائر أثناء الثّورة التّحرّريّة من اغتيال سياسي رسمي يفوق بكثير من حيث العدد والخطورة ما وقع في تونس والمغرب نظرا لطبيعة الصّراع والرّهانات القائمة آنذاك. وقد مورس الاغتيال السّياسي في الجزائر من طرف أجهزة الدّولة الرّسميّة على نطاق واسع وباعتراف مقترفيه[26] واستهدف ليس فقط القادّة بل حتى المقاومين وعامّة الجزائريّين وتمّت عمليات الاغتيال الجماعي من قوّات الجيش ومصالح الأمن في مواقع الإيقاف والتّحقيق (مقرّات البوليس، الثكنات، الدّور الخاصة، الضّيعات...) ولم يقع القتل رميا بالرّصاص فحسب بل عمد مقترفو هذه "الجرائم" إلى ذبح الضّحايا[27] أو قتلهم خنقا[28] أو رميهم من الطّائرات وكثير من الجزائريّين وقع التخلّص منهم بعد تعذيبهم حيث مورس التّعذيب على نطاق واسع باستعمال الكهرباء والخنق بالماء والحرق بالنّار والكي بالحديد اللاّهب والتعليق في الشمس إضافة للتعذيب النفسي[29]. ومن الاغتيالات التي جدّت بصورة جماعيّة تلك التي وقعت في قلب باريس يوم 17 أكتوبر 1961 عندما تظاهر الجزائريّون ضد منع الجولان والحد من حريّة التجّار (الجزائريّين) وأسندت مسؤولية قمع المظاهرة لموريس بابون (Maurice Papon) المحافظ العام للشرطة في باريس حيث قتل أكثر من 300 جزائري منهم 100 أغرقوا بنهر السّان بعد تعذيبهم[30]. وكان القتل بعد التّعذيب لطمس آثار الجريمة مألوفا آنذاك في الجزائر ويقدّر المؤرّخ الألماني هرتموت

25- حول تفاصيل هذه الأحداث أنظر مقال خالد بن الصغيّر: "انتفاضة 20 غشت 1955 بوادي زم: الجذور والوقائع" ضمن أعمال: **ندوة المقاومة المغربيّة ضدّ الاستعمار**، م.م. ص 336-374.

26- أنظر مثلا مذكّرات الجنرال أسّراس:

Le Général Paul Aussaresses, **Services spéciaux. Algérie 1955-1957**, Paris, Editions Perrin, 2000.

27- حول هذه الجرائم يمكن مراجعة:

- Hamid Bousselham, **La Guerre d'Algérie (1954-1962). Torturés par le Pen**; Alger, Editions Rahma-Anep, 2000.

- Neumane Stambouli, ***«La guerre d'Algérie a commencé en 1830. Crimes de guerre et crimes contre l'humanité*** », in **El-Rassed**, Alger, numéro nov-déc. 2001, pp. 30-31.

28- حول هذه الممارسات التي جدّت خاصة عند "معركة الجزائر" (1956-1957) تحت مسؤوليّة الجنرال ماسّي (Massu) والجرائم التي إرتكبت بمباركة رسميّة أنظر: **هرتموت السنهونس**، م.م. ص 505-517.

29- - Rahaëlle Branch, **La torture et l'Armée pendant la guerre d'Algérie 1954-1962**, Paris, Gallimard, 2001.

30- سعدي بزيان "جرائم فرنسا في 17 أكتوبر 1961 بباريس من خلال المصادر الجزائريّة الفرنسيّة" بمجلّة **المصادر** (مجلّة المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أوّل نوفمبر 1954)، عدد 6، 2002، ص 359-405.

السنهانس Hartmut Elsenhans عدد الجزائريّين الذين قتلوا بهذه الطّريقة لفترة جانفي-مارس 1957 فقط وبولاية الجزائر العاصمة لوحدها بين ثلاثة آلاف ومائة ألف شخص[31].

ومن القادة الجزائريّين الذين اغتالتهم الأجهزة الرّسميّة للدّولة الفرنسيّة إن كانت من الجيش أو قوات الأمن العربي بن مهيدي وعلي بومنجل اللّذين كان يروّج في حقّهما أنّهما انتحرا ويعترف أحد المورّطين في تلك الجرائم الجنرال بول أوسّاراس (Paul Aussaresses) أنّه وقع التخلّص منهما بعد تعذيبهما. نذكر كذلك وريدة المدّب والعربي التّباسي وعيست إيدير والدكتور بنزرجاب والشيوعي الفرنسي موريس أودان (Maurice Audin) وغيرهم كثيرين.

وكان عنف منظّمات المتطرّفين من الفرنسيّين في هذه السّنوات الحرجة من عمر الاستعمار يتكامل مع عنف أجهزة القمع الاستعماريّة ويجد في السّلطات الرّسميّة إن كانت سياسيّة أو قضائيّة أو أمنيّة السّند والدّعم إن لم تكن شريكة فعليّة لها في جرائمها في حقّ الوطنيّين وذاك ما أثبته البحث في "تاريخ جرائم" تلك المنظّمات كما سنقف على أمثلة منها لاحقا.

كوّن المغالون من الاستعماريّين والرّافضين لأي تطوّر للواقع الاستعماري نحو منح شعوب المغرب استقلالها منظّمات تهدف إلى إفشال السّياسات التي تعتبرها تآمريّة وخيانيّة لمصالح فرنسا وخاصة للتصدّي لعنف المقاومة الوطنية بعنف مقابل و "مجابهة الإرهاب بالإرهاب". وبرز فعل هذه التّنظيمات في الأوّل في تونس لأسبقيّة مرور المقاومة الوطنيّة فيها منذ 1952 إلى العمل العنيف حيث تكوّنت في جويلية 1954 منظّمة "الحضور الفرنسي" (Présence française) يرأسها الكولونال شوفاليي (Chevalier) أحد قدماء الهند الصّينيّة ثم آلت رئاستها إلى محارب آخر قديم وهو الجنرال ريم برينو (Rime-Bruneau) لكن منظّمة "اليد الحمراء" (La Main rouge) كانت قد سبقتها على ساحة المجابهة الدّمويّة منذ 1952[32]. والتي كانت أهمّ منظّمة نشطة ليس فقط في تونس بل في البلدان المغربيّة الثلاث وحتى خارجها وسوف نعود إليها لاحقا.

31- **هرتموت السنهانس**، م.م. ص. 514.

32- كنّا تناولنا نشاط هذه التّنظيمات في مقالات لاحقة نذكر منها:

- *« Les groupements politiques français de droite en Tunisie et la décolonisation (1954-1956 »* in **Processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952-1964)**, pub. de l'ISHMN, Tunis, 1999, pp. 203-236.
- *«Les groupements politiques français de droite en Tunisie dans les années cinquante : présentation »*,in **R.H.M.**, n°102-103, Mars 2001, pp. 21-31.
- *« Synopsis des principaux groupements politiques français de droite en Tunisie au temps de la colonisation »* , in **Les Cahiers de Tunisie**, n° 180, 2002, pp. 9-29.

إضافة للدّراسة التي سبق ذكرها: "أروبيو تونس والمقاومة المسلّحة في الخمسينات" والمنشورة في كتابنا: **المقاومة الشعبية في الخمسينات**، م.م.

أمّا في المغرب الأقصى فقد تكوّنت منظّمات مماثلة خاصة في غضون 1954 منها "الحضور الفرنسي" (Présence française) التي كان يرأسها الدكتور كوس (Causse) و "منظّمة الدّفاع ومناهضة الإرهاب" (l'Organisation de Défense Antiterroriste. ODA) و "الحملة العسكريّة الفرنسيّة (Le corps expéditionnaire français) (C.E.F) إضافة "لليد الحمراء" التي كانت نشطة كذلك بهذا البلد.

وفي الجزائر قبل أن تتكوّن المنظّمة الشبه سريّة "المنظّمة المسلّحة السّريّة" (l'OAS) في فيفري 1961 نشطت منظّمات متطرّفة أخرى منها "تجمّع فرنسيي الجزائر" (Le Rassemblement des Français d'Algérie) الذي كان يرأسه المحامي بيرنقاي (Péringuey) والمنظّمة السّريّة "جمعيّة إنبعاث إفريقيا الشماليّة" (Organisation pour la renaissance de l'Afrique du Nord) والتي كان يقودها الدكتور كوفاكس (Kovacs)[33] إلى جانب "اليد الحمراء" ومليشيات يمينيّة أخرى.

والثابت والذي تشترك فيه كل هذه المنظّمات أنّ عناصرها كانوا من الأوساط الأروبيّة الأكثر تخوّفا على مستقبلها ان استقلّت مستعمرات فرنسا والأكثر عنصريّة ويمينيّة أمّا نشطيها ومنفّذي عمليات الإرهاب والاغتيال في حقّ الوطنيّين فكانوا من قدماء المحاربين والبوليس وحتى أوساط الدّعارة والإجرام[34] وتلقى الدّعم المادّي من كلّ الأوساط الاستعماريّة والتّعاطف المتحمّس من كلّ الجاليات الأروبيّة إلاّ القلّة من الليبراليّين والوسط المتفتّح.

وتتفرّد منظّمة "اليد الحمراء" عن بقيّة هذه المجموعات الإرهابية الاستعمارية بأنّها منظمة تنشط عناصرها في تنسيق متبادل في البلدان المغاربيّة الثلاث وليس فقط تلقى الدّعم من البوليس الفرنسي والقضاء الاستعماري شأن المنظّمات الأخرى بل أنها كانت في علاقة عضويّة مع المخابرات الفرنسية وبالتحديد "مصلحة التّوثيق والاستخبار المضاد "Service de documentation extérieure et de contre-espionnage" (SDECE)[35] حيث أنّ أنطوان مليرو (Antoine Méléro) نعتها بـ "اليد السّريّة للجمهوريّة" وشهادته كأحد عناصر هذه المنظّمة تؤكّد ما كان في حساب الظّن ومن أنّ العلاقة بين الأجهزة الأمنيّة و "اليد الحمراء" لم

33- حول هذه الجمعيات في الجزائر يمكن الرّجوع إلى:

بتريك إفنو وجون بلانشي، م.م **وشارل أندري جيليان المغرب**... م.م وإلى كتاب أحد الذين كانوا نشطين بمنظمة "اليد الحمراء" بالمغرب الأقصى أنطوان مليرو:

- Antoine Méléro, **La Main rouge. L'Armée secrète de la République**, Paris, Editions du Rocher (Documents), 1997.

34- **شارل أندري جيليان**، م.م. ص. 393 و 396.

35- أنطوان مليرو، **اليد الحمراء** م.م. ص. 28-32. **وهرتموت السنهانس**، م.م. ص 520. مع الملاحظ أنه بداية من 1981 هذا الجهاز أصبح يسمى (Direction Générale des Services Extérieurs) . (D.G.S.E)

تكُن من صنف تعاون جهازين لهما نفس الغايات بل من صنف جهاز أمني ينشط بأوامر وتخطيط ومتابعة من جهاز آخر أي السداس (SDECE) حيث كان ينفّذ "المهام القذرة" (La sale besogne) مع الحرص أن لا تتورّط فيها الأجهزة الرسميّة وهذه الحقيقة لا تقوم فقط على شهادة هذا النّشط (Méléro) السابق في اليد الحمراء بل على عدّة قرائن أخرى أهمّها أن جرائم "اليد الحمراء" لم يكشف البحث فيها على أيّ مسؤول وحتى عند ما تمّ إيقاف مجموعة من أعضائها في تونس في ماي 1956 وبيّن البحث تورّطهم في عدّة جرائم بل أنّ رويزي كريسطوف (Ruisi Christophe) وروفنياك (Rouffignac) وأوزرات مارسيال (Aouizerat Martial) قتلة فرحات حشّاد وقع ترحيلهم بعد تدخّل وزير العدل الفرنسي آنذاك فرانسوا متيران (F.Mitterand) على طائرة حربيّة من قاعدة بنزرت نحو فرنسا في صائفة 1956 وأنقذوا من يد العدالة[36].

على كل حسب مليرو كانت منظمة "اليد الحمراء" تنشط تحت أوامر القبطان (Fillette) وكان مقر عمله ببناية الإقامة العامّة الفرنسية بالرّباط في حدّ ذاتها[37] وكانت المنظمة مهيكلة في ثلاثة شعب: شعبة الدراسات والبحوث: تهتم بجمع المعلومات وتنسيقها حول كل هدف ممكن تصفيته والثانية: شعبة التغطية في العمليات: وهي مكوّنة من أفراد مهمّتهم التغطية عند التنفيذ والإحالة دون إيقاف القتلة عند الإنجاز أما الشعبة الثالثة: مهمّتها "التنفيذ" مسؤول عليها المدعى جون كلود (Jean Claude) مكوّنة من مجموعات صغيرة تعطى لها الأوامر في آخر لحظة للقضاء على الضحيّة[38].

وتبيّن أنّ منظّمة "اليد الحمراء" كانت تنشط في بلدان المغرب الثلاث بل أن عناصرها كانت تتنقّل عبر الحدود وتلقى التسهيلات الضروريّة لذلك من ذلك هروب الكمّسار المركزي والرّئيسي المساعد لمحافظ الأمن بالعاصمة تونس سارج جيلي (Serge Gillet) والذي فرّ دون أن يوقف في ماي 1956 نحو الجزائر إثر اكتشاف وإيقاف مجموعة من عصابة اليد الحمراء ولعلّ أشهـر العناصر الظاهرة في هـذا التّنظيم المهندس ديمون ماليفـار (Dumont Maliverg) الذي كان عنصر الرّبط بين موظّفي "السداس" وعناصر البوليس والأعضاء الآخرين من المدنيّين في المنظّمة وقد انتهى به المطاف مذبوحا من المقاومة الجزائريّة بجهة قالمة بالجزائر أواخر الخمسينات[39]. ونجد نفس المنظّمة تحت إمرة الكولونال مرسيي (Mercier) من "السداس"

36- مليرو، م.م. ص. 52.

37- ن.م.ص. 18.

38- ن.م.ص. 30-31.

39- ن.م. ص. 52.

(SDECE) تنشط في سويسرا وألمانيا وغيرها من الدّول الأروبية في تتبّع نشاط جبهة التّحرير الوطني الجزائريّة (F.L.N) خاصّة[40] .

على كل كانت "اليد الحمراء" مسؤولة على عديد العمليات الإرهابيّة في بلدان المغرب الثّلاث من تفجير المحلاّت إلى إطلاق الرّصاص على الأماكن العامة إلى إغتيال الوطنيّين. وقد تورّطت في تونس في أكثر من سبعين عمليّة إرهابيّة[41] أشهرها اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشّاد في 5 ديسمبر 1952 والقيادي الدّستوري الجديد الهادي شاكر في 13 سبتمبر 1953 والدكتور مامي، طبيب الباي في 13 جويلية 1954 والأخوين علي والطّاهر حفوز في 24 ماي 1954 ومحاولة إغتيال إنطلاقا من تونس، في طرابلس للزعيم الجزائري أحمد بن بلّة في سبتمبر 1955.

كذلك الأمر في المغرب الأقصى إذ استهدف الوطنيّون خاصة بين سنوات 1952 و 1955 إلى عمليّة "صيد للبشر" قتل الكثير منهم على يدي "اليد الحمراء" و "الحضور الفرنسي" وعصابة عون الأمن بوجول (Poujol) ولنا في شهادة أنطوان مليرو كل التّفاصيل حول عمليات الاغتيال تلك من حيث الإعداد والتّنفيذ والأسلحة وأسماء القتلة وتداخل المخابرات الفرنسيّة في إعطاء الأوامر أو في التعميّة على القتلة[42]. ومن ضحايا الإرهاب الاستعماري في المغرب تاجر الأقمشة ومموّل العمل الوطني الطاهر السبتي والمحامي عمر السلاوي والصّيدلي أحمد الديوري وتاجر الجملة برّادة والدّكتور عمر الدريسي. كما طالت الاغتيالات أو محاولات القتل شخصيات فرنسية أبدت تفهّمها للمطالب المغربية شأن رجل الأعمال وصاحب جريدة "ماروك براس" ("Maroc-Presse") جاك لوماجر دبيراي(Jacques Lemaigre-Dubreuil) الذي ارتكب خطيئة نشر قائمة المشبوهين في اغتيالات الوطنيين ولم يفلح رئيس المخابرات الفرنسية روجي ويبوت (Roger Wybot) في الكشف عن القتلة تحت الضغوطات وإرادة التعميّة القضائيّة والسياسيّة[43]. شأن بقية القضايا الأخرى المتورّط فيها "الإرهاب المضادّ".

أمّا في الجزائر فقد اقترفت كذلك اغتيالات عديدة من قبل اليد الحمراء ومليشيات المجموعات المسلّحة الفرنسيّة مثل "الجبهة الوطنيّة الفرنسية" (Le Front National Français) و "الكتائب الفلاّحيّة" (Les Phalanges paysannes) وحركة "أمّة شابّة" (Jeune Nation)[44]

40- **هرتموت السنهانس** م م.، ص. 471.

41- راجع مقالنا: "أروبيو تونس والمقاومة المسلّحة في الخمسينات"، م.م.

42- **أنطوان، مليرو**، م.م.

43- أنظر في الموضوع ، شارل أندري جيليان، **المغرب...**، م.م. ص. 416-417. كذلك شهادة المناضل المغربي عبد الجليل البوصيري في مؤلّفه: **أحداث ورجالات حلالة**، القنيطرة، البوكيلي للطباعة والنّشر. 2003. وحول قائمة المورّطين في اغتيالات الوطنيّين المغاربة التي فيها ثمانية من البوليس على 18 أنظر أنطوان مليرو، "**اليد الحمراء...**" م.م. ص 128.

44- أنظر افنوو بلانشي، م.م. ص 247 وما يليها.

وخاصّة "المنظّمة المسلّحة السرّية" (l'OAS) والتي سبق ذكرها والتي كان يقودها الكولونال أرقود (Argoud) وسوزيني (Susini) "الفاشي المقتنع" التي أغرقت الجزائر (وحتى فرنسا) في إرهاب شامل من اختطاف وقتل ليس فقط في الجانب الجزائري[45] بل شمل سياسيّين وصحافيّين وجامعيين فرنسيّين ولم يتوقف العنف والاقتتال الذي وراءه هذا التنظيم إلاّ بعد إمضاء اتفاق في 17 جوان 1962 بين لوآاس (l'OAS) وجبهة التحرير (FLN).

لكن الإرهاب الاستعماري لم ينجح في عرقلة مسار التاريخ حيث تحصّلت تونس والمغرب على استقلالهما في سنة 1956 وكذلك الجزائر سنة 1962 لكن بعد أن انفتحت صفحة جديدة من الصّراع بين الأخوة الأعداء لم تعرف نهايتها إلاّ مع بداية السبعينات تقريبا.

III – الاغتيال السّياسي لفرض الهيمنة وضمان الحكم.

كان العنف السياسي ومنه الاغتيال مصاحبا لكل الحالات التاريخية التي تكون فيها مصالح الأطراف المتصارعة على درجة كبيرة من التّباعد والتناقضات بينها عميقة لكن يحصل أيضا أن تلتجئ مكونات الحركات الوطنية إلى العنف وحتى القتل فيما بينها وتمارسه حتى على الفئات الاجتماعيّة "السّلبيّة" التي لم تنخرط جادّة في المسار العام الذي تصنعه تلك الحركات وهذا ما وقع بدرجات متفاوتة في تاريخ المقاومة في المغرب العربي. حيث كان الإقناع بحجّة القوّة أو القتل وقلب التّوازنات والتحالفات بنفس الأسلوب دارجا.

وفي حالة تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب للفترة التي تعنينا هنا نلاحظ مرحلتين: مرحلة التّعبئة وفرض الهيمنة والزّعامة ومرحلة ثانية بدأت في الأشهر الأخيرة من حياة الاستعمار أي مرحلة التهيّأ لتسلّم السّلطة في الدّول المستقلة الجديدة لتتواصل لاحقا.

ودون أن يدّعي هذا الجزء من البحث استحضار التحوّلات السياسيّة وكل التّوتّرات التي عرفتها الأحزاب الوطنيّة قبيل الاستقلالات أو في المرحلة التي تلتها سوف نحاول هنا فقط تسليط الضّوء على حقيقة تاريخيّة تشترك فيها البلدان الثلاث مستنجدين ببعض النّماذج التي مورس فيها الاغتيال.

وفي الواقع تشابه هنا أيضا الواقع النّضالي والسياسي بين تونس والمغرب لوجود في كلا البلدين حزبين وطنيّين هيمنا على الحركة الوطنية ونعني الحزب الحر الدستوري الجديد في تونس وحزب الاستقلال بالمغرب الأقصى مع تواجد أحزاب أخرى شاركتهما مقاومة الاستعمار لكن بدرجة وبتمثيليّة أقل حيث وجد في تونس الحزب الحر الدستوري القديم والحزب الشيوعي وفي

45– من جرائم "لوآاس " اغتيالها في 15 مارس 1962 ستة مديرين من "المراكز الاجتماعيّة" في اجتماع في حي الأبيار بالجزائر العاصمة منهم الكاتب ميلود فرعون.

المغرب كان حضور الأحزاب الوطنية أكثر ندية للحزب المهيمن وهذه الأحزاب هي: حزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربيّة وحزب الأحرار المستقلّين والحزب الشيوعي. وان كانت إدارة العلاقات بين هذه الأحزاب المتنافسة- لكن المتناقضة مجتمعة مع العدو أو الخصم أي الاستعمار- تقوم على الوسائل السّلميّة لم يغب عنها أحيانا استعمال العنف لترهيب المنافس وهذا حتى فجر الاستقلال أي مع سنة 1955 تقريبا عندما حان زمن قطف الثمار وتحوّل التّناقض مع المستعمر إلى تناقضات وطنيّة-وطنيّة.

في ما يخصّ تونس تميّزت خاصّة سنوات 1955-1957 بما يشبه الحرب الأهليّة[46] بين الموافقين على اتفاقيات الاستقلال الداخلي (3 جوان 1955) بزعامة بورقيبة والمعارضين لها والمعتبرينها "خطوة إلى الوراء" والدّاعين إلى مواصلة الكفاح حتى تحرير كامل المغرب تحت راية العروبة والإسلام وراء الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد صالح بن يوسف. حيث تمت ملاحقة المعارضين (اليوسفيّين) والقضاء عليهم باستعمال القوّة والمحاكمات[47]. وجدّت في هذه الفترة عدّة اغتيالات في الطّرفين وتبودلت التّهم بينهما حول البادئ بها وحول مسؤوليتها.

وقد اغتيل في صفّ اليوسفيّين الكثيرين منهم سائق صالح بن يوسف علي بن إسماعيل ومصوّر جريدة "الصّباح" الواقفة مع المعارضة آنذاك، محمد بن عمّار[48] وحتى من المتعاطفين مثل المختار عطيّة والحاج علي بن خذر لكن الأغلبيّة كانوا قد قتلوا في المشادات التي وقعت بين عصاباتهم الرافعة للسلاح وقوات الجيش الفرنسي في ما بين أواخر 1955 و صائفة 1956 والتي أسفرت على مقتل أكثر من 900 من اليوسفيّين[49]. أمّا قائد المعارضة لبورقيبة منذ 1955 صالح بن يوسف فقد تمّ إغتياله في 12 أوت 1961 برنكفورت بألمانيا[50].

46- حول محاكمات اليوسفيّين أنظر: محمد ضيف الله: "المحاكمات السّياسيّة في عهد بورقيبة (1956-1987)" بـ: **القضاء والتشريع في تونس البورقيبيّة والبلاد العربية**، منشورات مؤسّسة التميمي، زغوان، 2004، ص 195-178.

47- أنظر حول الصّراعات بين الوطنيّين في هذه الفترة مقالنا: "جيش التحرير الوطني التونسي: حقيقته ومصيره" بكتابنا: **المقاومة الشعبية**، م.م. كذلك:

- Oualdi M'Hamed, l'orage des indépendances. Salah Ben Youssef et les youssefistes en Tunisie, Mémoire d'Histoire, Univ-Paris I, 1998-1999, non publié.
- Elmachet Samya, **Tunisie. Les chemins vers l'indépendance (1945-1956)**, Paris, L'Harmattan, 1992, p. 229.

48- حول أحداث الاغتيالات هذه وما يروّج حولها من تصفيات جسديّة تمّت بمكان يعرف في تونس العاصمة بصبّاط الظلام وفي بني خلّاد (زاوية سيدي بن عيسى) وغيرها يمكن مراجعة شهادات بعض المناضلين في ندوة "الخلاف البورقيبي- اليوسفي" منشورة **بالمجلّة التاريخيّة المغاربيّة** عدد 114، ص 215-257.

49- راجع بالتفصيل كرونولوجيا موت هؤلاء في الوقائع الحربية بمقالنا "*جيش التّحرير...*، م.م. ص 119-153.

50- تبنّى وبارك بورقيبة اغتيال غريمه صالح بن يوسف في محاضراته التي ألقاها حول تاريخ الحركة الوطنية في اكتوبر- نوفمبر 1973. ويعطي السيّد الطّاهر بلخوجة الوزير السابق إضاءات جديدة حول ملابسات اغتيال الأمين العام السابق للحزب الحر الدستوري. أنظر "شهادة الطاهر بلخوجة" منشورة **بالمجلّة التاريخيّة المغربية**، عدد 106، ص. 238.

أمّا في صفّ الحبيب بورقيبة فقد تعرّض هو ذاته لعدّة محاولات بالقتل من جانب أنصار صالح بن يوسف[51]. وقتل الكثير من أتباعه في سنتي 1955-1956 منهم المناضلين الدّستوريّين حبيب الدقي وعبد القادر القرقني ورشيد الميلي وحبيب شريطة والكيلاني المطوي والنّائب (الذي اغتيل يوم انعقاد المجلس التّأسيسي) حسين بوزيّان وقد أحصينا للفترة الممتدّة بين ديسمبر 1955 وجوان 1956 ما يربو عن 24 عمليّة قتل في أنصار بورقيبة منهم 10 تمّ ذبحهم.

وقد عرف المغرب الأقصى أحداثا مماثلة في هذه الفترة الانتقالية وتركيز النّظام الجديد وإعادة الترتيب الاجتماعي والطّبقي حيث شملت ظاهرة العنف السّياسي في مغرب بداية الاستقلال كل المختلفين مع حزب الاستقلال، ضمن فصائل المقاومة وجيش التحرير والفصائل الحزبيّة خاصة الحزب الشيوعي المغربي وحزب الأحرار المستقلّين وحزب الشّورى والاستقلال[52] حيث كان حزب الاستقلال يشابه الحزب الحر الدّستوري الجديد في نزعته للهيمنة والتوحّد المفرط وادّعائه الأحقيّة والشرعيّة التاريخيّة كقوّة واحدة إلى جانب الملك في احتكار السّلطة. وقد جابه حزب الاستقلال منافسيه من الأحزاب الأخرى أمّا بالإدماج شأن حزب الإصلاح الوطني أو بالعنف وإلصاق التّهم بالمنافسين ووسمهم بالخيانة وقد كان عانى خاصّة "الشّوريون" من هذا الاضطهاد والاختطاف والتعذيب في المعتقلات السّريّة ومن أبرز هذه الصّفحات السّوداء في تاريخ المغرب الجديد ما يعرف "بحوادث سوق أربعاء الغرب" التي وقعت في شتاء 1956 والتي تعرّض فيها عدد من قيادي حزب الشورى والاستقلال على يدي منظمات مسلّحة سرّية تابعة لحزب الاستقلال إلى عمليات تصفية جسدية حيث اختفى ما لا يقلّ عن سبعة عشر من أتباع الحزب المذكور[53] من أبرزهم: عبد الواحد العراقي وإبراهيم الوزّاني وعبد السلام الطّود وعبد القادر برّادة وعبد الحميد بوسليخين والعربي السّفياني وغيرهم.

كما وقعت تصفيات متبادلة بين "المنظّمة السّريّة" و "الهلال الأسود" سقط فيها عبد الرحمان بلمخنث وعبد الله الحداوي وإبراهيم الرّوداني ومحمد الزيروي وعباس المساعدي ولحسن القلاوي أما في صفّ الحزب الشيوعي المغربي فقد صفّي البقّالي وعبد الكريم بن عبد الله.

مع الملاحظ أنّ الدولة بعد 1987 أعادت الاعتبار لصالح بن يوسف وأرجعت جثمانه من مصر ليدفن في تونس و أعطت إسمه لعدّة شوارع هامّة في المدن التونسيّة.

51- راجع محمد ضيف الله، م.م.

52- محمد معروف الدّفالي، "حزب الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار. 1946-1959"، مجلة أمل عـدد 1997/11/10، ص 65-94، ص. 84.

53- ن.م.ص. 86. وشهادة المناضل محمد برهماني الجديد. م. م. ومقال المختار عنقا الادريسي: "عن العمل السياسي والديمقراطية في التجربة الحزبية من الاتحاد الوطني إلى الاتحاد الاشتراكي نموذجا" بمجلّة أمل عدد 1997/11/10، ص 148-162.

وكان أشهر المعارضين الذين وقع التخلّص منهم بالقتل حتى 1970 الزعيم الوطني والعالم الثالثي وقيادي "الاتحاد الوطني للقوّات الشعبيّة" المهدي بن بركة الذي وقع اختطافه في باريس في 29 أكتوبر 1965 من طرف المخابرات الفرنسية والمغربية ليقتل وتحوّل جثّته للمغرب وتذوّب هناك في الحامض[54].

أمّا في الجزائر فكان القتل السّياسي لغرض الهيمنة وضمان الحكم على نطاق أوسع نظرا لطبيعة الأطراف المتصارعة والخصوصيّة العسكريّة للمقاومة الوطنيّة على الأقل منذ إندلاع حرب التّحرير في 1 نوفمبر 1954 وكان أخطر فصول الاغتيال السياسي في تاريخ المقاومة الجزائرية وبين فصائلها حتى 1962 تلك الحرب التي اشتعلت سنة 1956 بين التنظيمين المتنافسين "الحركة الوطنية الجزائرية" بزعامة مصالي الحاج و "جبهة التحرير الوطني" لاختلاف الرّؤى ولنزعة جبهة التّحرير للهيمنة وصهر كل القوى الوطنيّة في تنظيم واحد "لضمان النّصر"[55]. أما في الجزائر ذاتها فكانت "مجزرة ميلوزة" (قرية كبيرة توجد شمال مدينة مسيلة) في اللّيلة الفاصلة بين 29 و 30 ماي 1957 "أشنع" ما سجّل في تاريخ ذاك الصّراع. حيث كانت ميلوزة موالية لمصالي الحاج (MNA) ولمعاقبة أهلها هاجمتها ست كتائب من جبهة التّحرير ليلا وقتلت رجالها ذبحا بالسّكين وبالفؤوس والسّواطير وكان عدد الضحايا 315 رجلا.

أمّا في ملف التّصفيات السّياسية صلب قادة جبهة التحرير فهي كثيرة وكان أشهر المغتالين قبل الاستقلال وأحد قادة الثّورة البارزين عبّان رمضان الذي تخلّص منه رفاقه في ظروف غامضة بالمغرب الأقصى بتهمة الخيانة للثورة دون وجه حق في ديسمبر 1957[56]. وتسارع نسق التّقاتل بعد إمضاء اتفاقيات الاستقلال في إفيان (Evian) في 18 مارس 1962 في إطار الصراع على السلطة بين "مجموعة تيزي وزّو" والتي فيها رئيس الحكومة المؤقّتة يوسف بن خدّة والقياديّين في جبهة التحرير حسين آيت أحمد ومحمد بوضياف وكريم بلقاسم والمجموعة الثانية

54- حول اغتيال بن بركة راجع مثلا انطوان مليورو، م م. ص 77 و 78 واعترافات عنصر المخابرات السابق المغربي أحمد البخاري في:
Ahmed Boukhari, **Le secret Ben Barka et le Maroc**. Paris, Michel Lafon, 2002, 308p. et "**Le Monde**" du 29/6/2001.

55- حول خلفيات هذا الصراع وتصوّراته راجع محمد حربي: جبهة التحرير الوطني: سراب وواقع، ص 143-162.
Mohamed Harbi, **Le F.L.N. Mirage et Réalité, des origines à la prise du pouvoir (1945-1962),** Paris, Les Editions J.A./ S.T.D., 2éme édition 1985, pp. 143-162.

56- لمزيد التفاصيل حول هذا الصّراع بين الأخوة الأعداء يمكن العودة إلى كتاب: جاك فالات: **حرب الجزائر، حرب المصاليين.**
Jacques Valette, **La guerre d'Algérie des Messalistes 1954-1962**, Paris, L'Harmattan, 2001, 302 pages.
أنظر حول ملابسات اغتيال عبّان رمضان كتاب يوسف بن خدّة: عبّان- بن مهيدي.
Benyoucef Ben Khedda, **Abane- Ben M'hidi, Leur apport à la Révolution Algérienne**, Alger, Editions Dahlab, 2000, 206 pages.

التي اتخذت مقر قيادتها بتلمسان بالغرب الجزائري وفيها خاصة أحمد بن بلّة ورابح بيطاط والقيادة العامة لجيش التحرير الوطني وعلى رأسها الكولونال الهوّاري بومدين. وقد آلت الغلبة لمن معه القوّة العسكريّة أي مجموعة أحمد بن بلّة التي دخلت العاصمة الجزائر في 4 أوت 1962 وذلك في جو من التشاحن والاقتتال الذي خلّف آلافا آخرين من الضّحايا[57]. لكن الصّراع على السلطة تواصل حيث أزاح الهوّاري بومدين أحمد بن بلة من السّلطة بانقلاب عسكري في 19 جوان 1965 وعرفت جبهة التّحرير الوطني نزيفا في قيادتها حيث خرج العديد من "القادة التاريخيّين" بالعزل أو بالحكم القضائي أو بالنّفي وتواصلت آلية الاغتيال من ذلك اغتيال القيادي كريم بلقاسم[58] في ألمانيا في 18 أكتوبر 1970 من المخابرات الجزائرية على ما يبدو. ولم يغلق باب الاغتيال في الجزائر.

هكذا كان إذن الاغتيال السّياسي طيلة الفترة المدروسة حاضرا كأداة فعل تاريخي من جانب كل الأطراف.

خـــاتمــــة:

إن كانت حروب التّحرير الوطني كلّها تقريبا عنيفة وكان الاغتيال السّياسي ملازما لها ولا يزال (حالة فلسطين حاليّا) لأنّها تقوم على تناقضات لا تجد حلّها إلاّ في ذاك الأسلوب وكذا كان الصّراع من أجل السّلطة في فترة التّأسيس لكن اعتماد الأسلوب ذاته في حالة السّلم وفي موضوع التّداول الضّروري على الحكم ينمّ على عدم نضج تاريخي في مستوى الثقافة السّياسية للمجتمع وما قبل حداثيّة نخبه الحاكمة والمحكومة.

57- **محمد حربي**، م.م. ص 355-376.

58- كريم بلقاسم كان مناضلا في حزب الشعب الجزائري وأحد مفجّري الثورة في 1 نوفمبر 1954 ونائب رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية وأحد القادة الفعليّين للمقاومة إلى جانب بن طوبال وبوصوف، أعن منذ 1962 خلافه لأحمد بن بلّة لتوجّهه التسلّطي وغادر الجزائر . حكمت عليه المحكمة الثورية بوهران سنة 1969 بالإعدام غيابيّا. وبقي في المنفى حتى أعدم في دسلدورف في ألمانيا في 18 أكتوبر 1970. وقد أعاد له الرئيس الشاذلي بن جديد الاعتبار في سنة 1984.